

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ تَعَالَى وَسَلَّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فخامة الرئيس / رمضان أحمدو فيتش قديروف-رئيس جمهورية الشيشان

أَيُّهَا الْحَفْلُ الْكَرِيمُ!

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.. وبعد؛

فلقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ»^(١)، وقال: «... وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنْكُمْ قَدْ كَفَأْتُمُوهُ»^(٢).

وبالأمس أسدئ الشعب الشيشاني إلى الأزهر الشريف معروفا لا يُنسى وجميلاً لا تنقضي آثاره، حين خفَّ كثير منهم، يتقدّمهم فخامة رئيس الدولة الرئيس / رمضان أحمدو فيتش قديروف، لاستقبال الأزهر الشريف في مطار جروزني، في مكرمة تدل على حب صادق ومودّة للأزهر وشيوخه وعلمائه.. وإنّ هذا الاستقبال الذي صافح قلوبنا ومشاعرنا قبل أن يصافح أيدينا، ليدل - أولاً وقبل كل شيء - على أصالة شعب الشيشان، وعراقة أصله، وطيب عنصره، وجدارته بخلائق جعلت منه نموذجاً يحتذى به في التدين الصحيح، وفي الصلابة والصمود، من أجل حماية أرضه ووطنه وعقيدته.

١- رَوَاهُ أَحْمَدُ (١١٢٨٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٩٥٥) وَحَسَنَهُ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا.

٢- أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١٦٧٢)، وَأَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (٥٣٦٥)، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ.

فشكراً لكم فخامة الرئيس!، وشكراً لشعبكم الكريم وبلدكم الطيب..
وإننا وإن كنا لا نقدر على مكافأة معروفكم هذا، فإننا لا نملك إزاءه إلا الدعاء
إلى الله عز وجل أن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وأن يجعل من أرضكم
وبلادكم مثابة أمن وأمان ورغد ورخاء، ومن شعبكم الكريم أمة يهدون بالحق
وبه يعدلون.

على أن هذا المؤتمر الذي يسعد الأزهر بالمشاركة فيه، هو جميل آخر
تسديه الشيشان إلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، بل إلى العالم كله
شرقاً وغرباً، وتسهم به إسهاماً جاداً في إطفاء الحرائق والحروب اللإنسانية،
التي تتخذ من أجساد العرب والمسلمين وأشلأئهم، فئران تجارب دموية،
وتشعلها أنظمة استعمارية جديدة، تقدّم بين يدي نيرانها نظريات شيطانية
مرعبة، من: حتمية الصراع الحضاري، ونهاية التاريخ، والفوضى التي لا تخلق
إلا فوضى مثلها أو أشدّ منها، والعولمة التي تعني فيما تعني: «سيطرة دولة
واحدة عسكرياً وسياسياً واقتصادياً على السوق العالمي»^(١).

وليت الأمر توقف في هذه الخطط الماكرة عند التغول العسكري
والاقتصادي، إذن لصبرنا ورددنا مع طرفة بن العبد قوله^(٢):

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقِ بَعْضَنَا * حَنَايِكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

نعم! لم يقف الأمر عند هذا الحد؛ وإنما ذهب إلى أبعد مدئ ممكن في
العبث بالإنسانية وموارِيثها، حين بدأت تزحف على ثقافات الناس

١- منير شفيق، في الحداثة والخطاب الحداثي، ٧٤ المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٩م.

٢- ديوان طرفة بن العبد: ٦١ (ط. دار المعرفة، بيروت: ١٤٢٤هـ).

ومعتقداتهم ومقدراتهم التاريخية والحضارية، وتُخضعها لمعايير ثقافة عالمية واحدة.. وفي سبيل ذلكم، اتخذت العولمة خطواتٍ تُنذرُ بخطرٍ محقق، على طريق إفقار العالم الشرقي، ووضع العوائق والعقبات على طريق تقدمه، وإحكام السيطرة على مفاصلِ دوله وأوطانه، من خلال التبشير بحريّات فوضويّة عبثيّة، يُنفق على تسويقها وترويجها ما لا يُنفق عُشرُ معشاره على الأكباد الجائعة من فقراء هذه الدول، أو على مساعدة شعوبها لتمكينها من الحصول على أدنى حقوقهم في التعليم والصحة والغذاء، ومكافحة الأمراض والقضاء على الجهل والامية والتخلف.

وقد يسأل البعض عن علاقة هذا المؤتمر بالوضع المُحزن الذي صارت إليه أمتنا في الآونة الأخيرة.

والإجابة على هذا التساؤل أن هذا المؤتمر في بحثه عن: «مَنْ هُمْ أهل السنّة والجماعة» فإنه يبحثُ في الوقت ذاته عن تشخيصِ الداء الذي أضعف جسدَ هذه الأمة، والعلّة التي أنهكتها واستنزفت طاقتها، وما زالت بها حتى جعلت بأسها بين أبنائها.. ثم هو بحثٌ في الدّواء والعلاج الذي أرجو أن تكشف عنه أبحاث العلماء المشاركين فيه.

ولعلكم تتفقون معي -أيها السادة العلماء!- على أن مفهوم «أهل السنّة والجماعة» كان في عصور التآلق العلمي والحضاري لهذه الأمة هو المُلمهم لعلمائها وأئمّتها، في كلّ ما يصدُرُ عنهم من أنظار في العقيدة، وفتاوى في الفقه والتشريع، وكان من الحضور والتمكّن في شعور الأمة ووجدانها بحيث استطاع

أَنْ يَحْمِيَهَا بِسِيَاحٍ مَنِيْعٍ مِنْ أخطارِ التشرذمِ والتشتُّتِ والشَّقاقِ والافتراقِ،
 وَيُذَكِّرُهُمْ صَبَاحَ مَسَاءٍ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
 وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ
 إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
 لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ {آل عمران: ١٠٣}، وبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا
 تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ {الأنفال: ٤٦}.

ومن المؤلم أشد الألم وأعمقه أن هذا المفهوم الذي كان يدور عليه أمرُ
 الأمة الإسلامية قرونًا متطاولة - نازعته في الآونة الأخيرة دعاوى وأهواء، لَبِسَتْ
 عِمَامَتَهُ شَكْلًا، وخرجت على أصوله وقواعده وسماحته موضوعًا وعملاً، حتى
 صار مفهومًا مضطربًا، شديد الاضطراب عند عامة المسلمين، بل عند
 خاصتهم ممن يتصدرون الدعوة إلى الله، لا يكادُ يَبِينُ بعضُ من معالمه حتى
 تَنبَهُم قَوادِمُه وخَوَافِيه، وحتى يُصْبِحَ نَهَبًا تتخطفه دعواتٌ ونِحْلٌ وأهواء، كلُّها
 ترفع لافتة مذهب أهل السنة والجماعة، وتزعم أنها وحدها المتحدث الرسمي
 باسمه.. وكانت النتيجة التي لا مفرَّ منها أن تمزق شمل المسلمين بتمزق هذا
 المفهوم وتشتُّتِه في أذهان عامتهم وخاصتهم، ممَّن تصدَّروا أمر الدعوة
 والتعليم، حتى صار التشدُّد والتطرُّف والإرهاب وجرائم القتل وسفك الدماء
 والاعتصاب، كُلُّ ذلك يدَّعي وصلًا بأهل السنة والجماعة، كذبًا على الناس،
 وجهلاً فاضحًا بما تركه علماؤنا عبر القرون من معالمٍ بينةٍ واضحةٍ، ومفاهيمٍ
 تنضبطُ طَرْدًا وعكسًا في تعريف: «مَنْ هُمْ أهل السنة والجماعة».

ومن المؤلم أيضاً أن اضطراب هذا المفهوم عند أهل السنة أطمع آخرين من المتربّصين بهم بتصويب سهامهم نحو هذا المفهوم وتشويه سيرته، والافتراء عليه بأنه المسؤول عن الجرائم الإرهابية التي تقترفها الجماعات التكفيرية المسلحة.. وهؤلاء المفترون هم أول من يعلم أن هذه الجماعات التكفيرية، بتصرفاتها البشعة المنكرة لا تمتُّ إلى «أهل السنة والجماعة» بأدنى سبب.. وأغلب الظن أن هذه الفئة قد اتخذت من هجومها على مفهوم أهل السنة والجماعة غطاءً لتحقيق أغراض سياسية ومكاسب طائفية وأطماع توسعية لإذكاء نوازع الفرقة بين المسلمين، وبعث لفتن طواها الزمن وأصبحت في ذمة التاريخ، ونشر لثقافة الحقد والكراهية، وتنكر لتعاليم الإسلام في التعايش السلمي وعدم التدخل في شؤون الشعوب والأقطار، ومراعاة حرمة الجار التي كادت تبلغ في شريعة الإسلام حرمة أخوة الدم والجسد والتوارث.

وما أشبه الليلة بالبارحة -أيها الأخوة الفضلاء - في احتياج الأمة الإسلامية الآن لأن تعرف من جديد مَنْ هم أهل السنة والجماعة؟ وما هي معالم مذهبهم؟ وهل لغياب هذا المذهب الآن تأثير في حياة المسلمين؟ وما هي العلة الحقيقية في تشرذم الأمة الإسلامية؟ وهل من سبيل إلى إحياء هذا المذهب ليكون طوق نجاة للأمة، تتماسك حوله في محنها المتتابعة، وتفوت على المتربّصين ما يبيتونه لها بلبيل؟... إلخ هذه الأسئلة التي أطمح إلى جواب شاف عليها في نهاية هذا المؤتمر.

أما إجابتي على سؤال: من هم «أهل السنة والجماعة» فإني استدعيها من منهج التعليم بالأزهر، الذي تربيت عليه، ورافقني منذ طفولتي وحتى يومنا هذا.. دارسا لمتون هذا المنهج وشروحه عبر ربع قرن من الزمان، ومتأملا في منهجه الحوارية بين المتن والشرح والحاشية والتقرير، في تدريسي لعلوم أصول الدين، قرابة ٤٠ عامًا من الزمان.. وقد تعلمت من كتاب «شرح الخريدة» لأبي البركات الدردير في المرحلة الابتدائية أن «أهل السنة والجماعة» هم الأشاعرة والماتريدية، تمييزاً لهم عن الفرق الإسلامية الأخرى، ثم تعلمت في المرحلة الثانوية أن أهل الحق هم «أهل السنة والجماعة»، وأن هذا المصطلح إنما يُطلق على أتباع إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري، وأتباع إمام الهدى أبي منصور الماتريدي.

وفي كلية أصول الدين كان أوّل ما صافح عقولنا في مادة التوحيد هي عبارة الإمام النسفي في «عقائده»، وهي العبارة التي يحفظها عن ظهر قلب كلُّ طالبٍ تخرّج في هذه الكليّة، وهذه العبارة هي: «قال أهل الحقّ: حقائق الأشياء ثابتة، والعلم بها متحقق خلافاً للسوفسطائية»، وقد علّق الشّراح وأصحاب الحواشي على هذه العبارة موضحين أنّ أهل الحقّ هم أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية.

ثم تعلمنا بعد ذلك في أبحاثنا بالدراسات العليا أنّ أهل «السنة والجماعة» هم الأشاعرة والماتريدية، وأهل الحديث، وأنّ فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية والمعتدلين من فقهاء الحنابلة، لم يخرجوا من عباءة هذا المذهب، كما يقول سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ):

وهذا المفهوم بهذا العموم الذي يَشْمَلُ علماء المسلمين وأئمتهم من المتكلمين والفقهاء والمحدثين وأهل التصوف والإرشاد، وأهل النحو واللغة، أَكَّدهُ قُدَّما الأُشاعرة أنفسهم منذ البواكير الأولى لظهور هذا المصطلح بعد وفاة الإمام الأشعري (ت ٣٢٤هـ)^(١)، وبخاصة عند الإمام الكبير حجة المتكلمين أبي منصور عبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ) في كتابه: الفرق بين الفرق^(٢)، وأصول الدين^(٣)، ثم عند أبي المظفر الإسفراييني (ت ٤٧١هـ) في كتابه: التبصير في الدين^(٤)، ثم هو ما استقرَّ عليه الأمر عند جمهرة علماء الأمة عبر القرون التالية، بدءًا من الإمام أبي الوليد بن رشد المالكي الجد (ت ٥٢٠هـ) وحتى العلامة السفاريني الحنبلي المتوفى ١١٨٨هـ، والذي يقول: «وأهل السُّنَّة ثلاثة فرَّق: الأثرية وإمامهم أحمد بن حنبل، والأشعرية وإمامهم أبو الحسن الأشعري، والماتريدية وإمامهم أبو منصور الماتريدي»^(٥)، ومن بعده العلامة مرتضى الزبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥هـ) والذي يقول أيضًا: «والمراد بأهل السُّنَّة هم أهل الفرق الأربعة: المحدثون والصوفية والأشاعرة والماتريدية»^(٦)، وهذا هو الواقع الذي عاشته الأمة لأكثر من ألف عام، حيث عاش الجميع في وحدة جامعة استوعبت التعدُّد والاختلاف المحمود، ونبذت الفرقة والخلاف المذموم.

١- انظر كلام أبي الحسين محمد بن أحمد الملقب (ت ٣٧٧هـ)، في كتابه: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ١٢، ١٤ (ط. الكوثري)

٢- انظر ص ٢٢١ (سطر ١٣) من ط السيد عزت العطار ١٩٤٨، القاهرة، تقديم الشيخ محمد زاهر الكوثري.

٣- انظر ص ٣١١، ٣١٥ ط إستانبول ١٩٢٨م.

٤- انظر ص ١١٣، ط. عزت العطار ١٩٤٠م، تقديم الأستاذ الشيخ محمد زاهر الكوثري

٥- لوائح الأنوار البهية ١/٧٣.

٦- إتحاف السادة المتقين ٢/٨٦.

ولكن من هو الأشعري الذي لُقّب بأنه إمام أهل السُّنَّة والجماعة؟ وما هو مذهبه؟ ولماذا رضيته الأمة ولا زالت ترضاه حتى يوم الناس هذا؟ رُغم محاولات تشويهه وتنفير الناس منه، ومحاولات تبديعه وتفسيقه رَضْوَانَهُ، وتبديع الأشاعرة وتفسيقهم وربما إخراجهم من المِلَّة؟

وقد اصطحبتُ معي من مصر مجلدات أربعة بعنوان: «الإمام أبي الحسن الأشعري إمام أهل السُّنَّة والجماعة» تضمُّ أبحاث ملتقى الأزهر العالمي حول هذا الإمام العظيم، وذلك كي استغني به عن الشرح والتفصيل في إجابتي عن هذا السؤال..

أما ما لا بد من ذكره هنا فهو ما تعلمونه من أن هذا الإمام وُلِدَ بالبصرة سنة ٢٦٠هـ، وتوفى ببغداد سنة ٣٢٤هـ في أرجح الأقوال، وأنه نشأ في بيئة فكريَّة ومذهبيَّة شديدة التنافر والاضطراب، تشبه كثيرًا ما تمر به الأمة اليوم من مذاهب التكفير والعنف الطائفي والمذهبي، فكان المعتزلة يتعصَّبون لمذهبهم العقلي، وكان غلاة الحنابلة يتعصَّبون لمنهجهم النصي، وقد نشأ الإمام وتربى في مدرسة الاعتزال، وتشرب مذهبهم، وصار من أكبر نظار هذا المذهب والمنافحين عنه، لكنه ظهر فجأة ليعلم على الناس أن أدلة المذاهب قد تكافأت لديه، وأنه يتبرأ من مذهب الاعتزال وينسلخ منه، ويعقد العزم على التفتيش عن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، وبيانه وإعلانه على الناس والدفاع عنه، والتصدي للمذاهب الأخرى التي تنحرف عنه يمينًا أو يسارًا. كالمعتزلة والمجسمة والجبرية والخوارج والمرجئة وما جرى مجراهم.. وما لبث هذا الإمام الجليل

أن أعلن هذا المذهب الذي جاء مذهباً وسطاً بين مقالات الفِرَق الأخرى، وقد اعتمد فيه على القرآن والحديث وأقوال أئمة السلف وعلمائهم.

والجديدُ في هذا المذهب هو المنهج التوفيقى بين النقل والعقل، أي إثبات مسائل العقيدة بالأدلة العقلية والبراهين المنطقية بحيث لا يُقتصر في عرضها على النقل فقط، حتى وإن اصطدم بأوائل العقول وبدائه الأذهان، كما هو مذهب الجامدين على النصوص والواقفين عند ظواهرها. كما لم يُفرض الأشعري في التأويلات الذهنية العقلية وإخراج النص من سياقه وجوه المقدس إلى تحكيمات العقول التي لا تنبني على النظر السليم والبرهان السديد كما هو الحال عند المعتزلة وغيرهم..

وهذه الخصيصة التي تميز بها إمام أهل السنة والجماعة، وهي الاعتدال بين الإفراط والتفريط أو لنقل: المزج بين الإيمان بالنقل واحترام العقل، لم تكن بدعة استحدثها الأشعري بداعية الهوى أو التطلع إلى السؤدد والظهور، وإنما نسج فيها على منوال القرآن الكريم الذي تفيض نصوصه المقدسة بهذين الأصلين اللذين تأسس عليهما بناء المذهب الأشعري وهما: التوسط واليسر ورفع الحرج، ومنزلة العقل ورفع شأنه، والذي تكرر بلفظه ومعناه في القرآن الكريم أكثر من «١٢٠ مرة»، وبهذه الخاصة استطاع مذهب أهل السنة والجماعة أن يوفر للأمة الإسلامية استقرار العقل وهدوء النفس، والمصالحة المشروعة بين كل الشئيات التي تبدو متناقضة الأطراف، وأرهقت أمماً كثيرة ولا تزال ترهقها حتى يوم الناس هذا، وكانت سبباً في أن يضرب كثير منهم بأديانه وعقائده عرض الحائط..

إن مذهب أهل السنة والجماعة لم يكن حارساً أميناً فقط على وحدة المسلمين على مدى ألف عام أو يزيد، ولم يكن باعثاً لثقافتهم الدينية والفكرية فحسب، بل كان باعثاً لحضارتهم المادية والعلمية في شتى الميادين، وقد تنبّه أبو منصور البغدادي في لفظة غاية في الذكاء إلى الربط المنطقي والطبيعي بين التقدم العمراني وبين الاستقرار العقلي والروحي عند المسلمين، وكيف أن مذهب أهل السنة والجماعة - في الإطار الذي قدمناه - كان هو باعث نهضة هذه الأمة وأن مؤلفات أهل السنة في الدين والدنيا - فيما يقول عبد القاهر البغدادي - فخر خالد مدني الدهر للأمة المحمدية، وآثارهم العمرانية في بلاد الإسلام مشهورة ماثلة أمام الباحثين خالدة في بطون التواريخ بحيث لا يلحقهم في ذلك لاحق، كالمساجد، والمدارس، والقصور، والرباطات، والمصانع والمستشفيات، وسائر المباني المؤسسة في بلاد السنة، ثم قال: «وليس لسوى أهل السنة عملاً يذكر في ذلك، وكل ما في بلاد الحرمين وسائر الحواضر من شواهد الآثار فمن عمل أهل السنة»^(١).

أيها الحفلُ الكريم!

لا يسعني أن أنهي كلمتي هذه قبل أن أسرد سريعاً - بعض الخصائص التي تميز بها هذا المذهب الأشعري الحارس المؤمن على مذهب أهل السنة والجماعة وكتبت له البقاء والخلود.

١- فأولاً: ليس هو مذهباً جديداً، بل هو عرض أمين لعقائد السلف بمنهج جديد كشف فيه عن الاتساق الكامل في الواقع ونفس الأمر بين النقل والعقل،

١- أصول الدين: ٢٢٢

والذي عجز عن كشفه غُلاة النصيين مِمَّن ثَقُلَ عليهم النظر العقلي، والمعتزلةُ
وسائرُ الفرق الأخرى، يقول الإمام تاج الدين السبكي:

اعلم أن الأشعري «لم يبدع رأياً ولم ينشئ مذهباً، وإنما هو مقررٌ
لمذاهب السلف، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله ﷺ، فالانتساب
إليه باعتبار أنه تمسك به وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدي به،
السالك في الدلائل يسمى أشعرياً»^(١).

٢-ثانياً: أنه المذهب الوحيد الذي لا يكفر أحداً من أهل القبلة، وقد
روى ابن عساكر أن الأشعري حين حضرته الوفاة في بغداد قال لأحد تلاميذه:
«اشهد عليّ أني لا أكفر أحداً من أهل هذه القبلة، لأن الكل يشيرون إلى معبودٍ
واحد، وإنما هذا كله اختلاف العبارات»^(٢)..

ومِمَّا يدل على نفوره الشديد -رحمه الله- من نزعات التكفير، وإدراكه
المبكر لما تتأدَّى إليه هذه النزعة من استحلال للدماء والأموال والأعراض أنه
ألَّف كتاباً في الفرق الإسلامية جعل عنوانه: «كتاب مقالات الإسلاميين
واختلاف المصلين» في إشارة واضحة منه إلى أن الإسلام يسع مختلف الفرق
الإسلامية من المصلين، رغم ما بينهم من اختلاف في الأصول والفروع، ثم
طالعنا في مفتتح كتابه بعبارة ما أحوج المسلمين لها اليوم، بل لا مفر لهم منها
لاستعادة وحدتهم وقوتهم، يقول الأشعري: «اختلف الناس بعد نبيهم ﷺ في

١- طبقات الشافعية ٣/٣٦٥ (بتصرف)

٢- تبين كذب المفتري ١٤٩.

أشياء كثيرة، ضلَّ فيها بعضهم بعضًا وبرئ بعضهم من بعض، فصاروا فرقًا متباينين وأحزابًا متشتتين، إلا أن الإسلام يجمعهم ويشتمل عليهم»^(١).

وهذا الذي يحرص الأشعري على تصدير كتابه به يحرص تلاميذه أيضًا من بعده على تقريره وتأكيده، ونكتفي لضيق المقام بنص البغدادي في فصل من الكتاب السابق عنوانه «بيان عصمة الله أهل السنَّة عن تكفير بعضهم بعضًا» يقول فيه: «أهل السنَّة لا يكفر بعضهم بعضًا، وليس بينهم خلاف يوجب التبرء والتكفير.. والله تعالى يحفظ الحق وأهله فلا يقعون في تنابد وتناقض»، ثم يصف حال الفرق الأخرى وكأنه يصف حالنا اليوم، فيقول: «وليس فريق من فرق المخالفين إلا وفيهم تكفير بعضهم لبعض وتبرئ بعضهم من بعض، حتى إن سبعة منهم اجتمعوا في مجلس واحد فافترقوا عن تكفير بعضهم بعضًا»^(٢).

إنَّ التكفير -أيُّها الإخوة الفضلاء- هو بريد الدماء، ومبرر إراقتها عند من يسفكون دماء المسلمين، ويزعمون أنهم يجاهدون الكفار، وانظر حولك الآن وخبرني: هل تجد غير مذهب أهل السنَّة والجماعة، مذهبًا آخر لا يجازف بتكفير المسلمين أو تفسيقهم وتبديعهم إن هم خالفوا رجاله وخرجوا على مقولاته؟!!

إن أهل السنَّة والجماعة هم جماهير الأمة الإسلامية، وإن أئمتهم هم مالك والشافعي وأبو حنيفة وابن حنبل، والأشعري والماتريدي وتلاميذهما ومدارسهما، والحسن البصري والجنيد والمحاسبي والسراج وحجة الإسلام

١- كتاب مقالات الإسلاميين...، ص.....

٢- الفرق بين الفرق ٢٠١٩ (بتصرف).

الغزالي، وأهل الحديث وفضلاء الحنابلة وعلماءهم ممن يتمسكون بنهج الإمام أحمد وزهده وما عهد منه وعُرف من سيرته من فراره الشديد من الولوغ في الدماء والانفلات في تفسيق المسلمين مرة وإخراجهم من الملة مرة أخرى.

ومذهب أهل السنة والجماعة هو الذي أوصى النبي ﷺ بالاعتصام به والإمسك بطوقه حين يضطرب أمر المجتمع المسلم وتغشاه الفتن وتنحرف به السبل فقال: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بِحُبُوحَةِ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ».

أيها الحفل الكريم!

أعلم أنني قد أطلت عليكم، وعذري أن الوضع المتردّي الذي صارت إليه الأمة اليوم، لم يعد يحتمل أحاديث المجاملات والإشارات ومراعاة الخواطر، وأنه لم يعد أمامنا إلا هدف واحد هو لم شمل الأمة، وغسل العقول والقلوب من العقائد السوداء، والتأويلات التي ينكرها الإسلام وشريعته أشد الإنكار، وعلينا أن نعلم علم اليقين أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وما صلح به أولها هو مذهب «أهل السنة والجماعة» بيسره وسماحته وروحانيته ومظلته الواسعة الشاملة..

وأختتم كلمتي بنداء لكل من تنكبوا هدي هذا المذهب، وتفرقت بهم السبل عن صراطه المستقيم أن يثوبوا إلى رشدهم، ويحكموا ضمائرهم فيما يقترفونه من آثام وجرائم، وأن يعلموا أن هذه التأويلات الفاسدة لن تغني عنهم من الله شيئاً يوم القيامة، وأنهم مسؤولون عن هذه الدماء، وهذا الإفساد في

الأرض، وأن باب التوبة مفتوح لمن رجع وتاب وأناب، وأن يعيدوا قراءة القرآن بفهم صحيح وقلب سليم ويتدبروا آياته، ويستضيئوا بقبسٍ من نورِ نبِيهِم ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين كل العالمين.

وندائي لكم أيها الشعب الشيشاني الصامد ولكافة مسلمي روسيا أن تستمروا في تمسككم بمذهب أهل السنة والجماعة وهو مذهب الأشاعرة والماتريدية وأهل الحديث وأهل التصوف والسلوك عضوا عليه بالنواجذ وحفظوه أبناءكم وبناتكم واجعلوا منه منهجاً للتربية والتعليم في مدارسكم وجامعاتكم وقفوا بالحجة والبرهان لكل من يحاربه أو يتوقح عليه أو يحاول أن يستبدل به مذاهب ضالة مضلة مبتدعة ومخترعة لم تجني الأمة من دعواتها المنكرة إلا القتل والخراب والدماء والحقد على الإساءة للإسلام والكراهية للمسلمين.

شكرا الحسن استماعكم.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛

تحريراً في مشيخة الأزهر:

أحمد الطيب

٠٠ من ذوالقعدة سنة ١٤٣٧هـ

شيخ الأزهر

الموافق: ٠٠ من أغسطس سنة ٢٠١٦م